

في مفهوم الدهر والوقت والزمان

The Notion of Time: A Multidimensional Conceptualization

أ. عبد القادر عيسات

علوم التربية

المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر

eduaissataek@gmail.com

مدخل

يشغل مفهوم الزمان وما ارتبط به من مفردات مشابهة أو تحوم حوله ظاهرا حيزا من اهتمامات الفلاسفة والمربين، وذلك لارتباط الانسان به، فضلا عن ذلك فإنّ الزمان يعدّ واحد من المفاهيم الأساسية الفطرية التي تبني عقل الانسان، إلى جانب مفهومي المكان والسببية، وكلّها مفاهيم مترابطة يشغل العقل بواسطتها لتحقيق فريضة التفكير والتفكير. هذا ويمتاز مفهوم الزمان في كونه ينمو ضمن بعدين أحدهما شهودي وهو السابق، والآخر غيبي يتوج به العقل نموه الفطري، بمعنى أن العقل البشري مؤهل لإدراك معنى الزمان الحسي الناشئ من تعاقب الليل والنهار الناشئ من حركة الارض والشمس، ومؤهل أيضا لإدراك مفهوم الزمان في بعده غير المنظور وهو بعد غيبي يمتد إلى يوم القيامة، لذلك فهو مرتبط بسنة النمو... والمقال الذي بين أيديكم هو محاولة لاستجلاء هذا المفهوم وما ارتبط به من خلال نصوص الوحيين الكتاب والسنة. ولا يخفى ما لهذا المفهوم من أهمية تربوية ترتقي إلى مستوى المحكية في تطوير المناهج التعليمية وإصلاحها.

أولاً: في مفهوم الدهر:

لفت انتباهي في القرآن الكريم أنّ "سورة الانسان"، وهي من "السور المدنية" تسمّى أيضا "سورة الدهر"، ولما كان موضوع هذا العمل متعلّق بـ "مفهوم الزمن"، كان لابدّ لـ "مفهوم الدهر" أن يكون محلّ عناية واهتمام

بإدراجه ضمن معالجتنا لـ "مفهوم الزمن"، خاصة عندما يتعلق الأمر بالفضاء التاريخي العربي الاسلامي*.

ومن الاعمال التي تيسر لي الحصول عليها، دراسة لمحمد الرحموني (2009) حول "مفهوم الدهر"¹، حيث تناول هذا المفهوم من خلال كتب التفسير فلاحظ أنّ المفسرين أطلقوا على "سورتي الانسان² والجاثية³" اسماً آخر هو "الدهر"، وذلك ربّما لأنّ الموضوع الاساسي في السورتين هو "الدهر" وذلك تبعاً لاختصاص كل سورة بما سمّيت به جريا على عادة العرب بتسمية الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها⁴.

و"الدهر" كما عرّفه ابن منظور⁵ بأنّه ((الأمد الممدود)) وأنّه ((الزمن الطويل ومدة الحياة الدنيا))، أمّا أبو حنيفة النعمان⁶ – كما جاء في روح المعاني للألوسي⁷ - فالدهر عنده ((معرفاً بمعنى الأبد بلا خلاف، وأمّا منكراً

* المفهوم العربي الاسلامي للتاريخ هنا وفق طرح الاستاذ أحمد بن نعمان...

¹. محمد الرحموني، 2009، مفهوم الدهر- في العلاقة بين المكان والزمان في الفضاء العربي القديم- تقديم رضوان السيد، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط01. الفصل الثالث ص. ص. 71، 83، وهو أحد مؤلفاته حول المفاهيم القرآنية.

². "سورة الانسان" مدنية وعدد آياتها(31) آية، كان يقرأ بها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في صلاة الصبح من يوم الجمعة (أنظر تفسير ابن كثير)، ونصّ الآية الأولى (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا).

³. ورد ذكر "الدهر" أيضاً في "سورة الجاثية"، وهي مكية وعدد آياتها(37)، ونصّ الآية التي ورد ذكر "الدهر" فيها: (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر، وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون)(الجاثية، 24).

⁴. الرحموني (2009)، نفسه، ص71 و72.

⁵. هو محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور(1232م/1311م) الأنصاري الرويفعي الإفريقي، ولد وتوفي بمصر، وهو أديب ومؤرخ وعالم في الفقه الاسلامي واللغة العربية، من أشهر مؤلفاته معجم لسان العرب، جمع فيه أمّهات كتب اللغة فكاد يغني عنها جميعاً، تتلمذ على يد ابن طفيل وآخرون، خدم في ديوان الانشاء بالقاهرة، ثمّ ولي القضاء في طرابلس، أصيب بالعمى في سنوات حياته الأخيرة.

⁶. أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي(699م/767م) أوّل الأئمة الأربعة، وهو صاحب المذهب الحنفي في الفقه الإسلامي، وهو تابعي لقي عدداً من الصحابة منهم أنس بن مالك. امتنّ التجارة. نشأ في الكوفة وتوفي في بغداد. عاش محنتين، إحداهما في العهد الأموي والثانية في العهد العباسي.

⁷. هو شهاب الدين أبو الثناء الحسيني الألوسي (1803م/1854م) يتّصل نسبه بعليّ كرم الله وجهه، و"ألوس" جزيرة وسط نهر الفرات بمحافظة الأنبار بالعراق، فرّ إليها جدّ الأسرة من وجه "هولاكو" عندما داهم بغداد فنُسب إليها. وكان له الفضل في إنعاش الحركة العلمية في بغداد في عصره. سافر سنة 1845م إلى "الموصل" و"اسطنبول"، ومرّ بـ "ماردين" و"سيواس"، وذهب إلى الباب العالي فأكرمه السلطان عبد المجيد.

فلا أدري كيف هو حكم التقدير لأنّ مقادير الأسماء واللغات لا تثبت إلاّ توقيفاً)). ويتفرّد الجرجاني⁸ بتعريف دقيق يميّزه عن غيره من التعريفات اللغوية فيقول: ((الدهر هو الآن الدائم الذي هو امتداد الحضرة الإلهية وهو باطن الزمان وبه يتحدّ الأزل والأبد))⁹ على أنّ التعاريف اللغوية تكاد تشترك في ربط "الدهر" بالأزل والأبد بمعنى الامتداد.

إنّ هذا تصوّر للدهر عند أعراب الجاهلية هو الذي جعل محمد الرحموني في خلاصة فصله الذي تناول فيه "الدهر في كتب التفسير" يعتبر الدهر زمان طويل بلا بداية ولا نهاية ما يفتأ يعمل على إهلاك الإنسان، ثمّ يعلّق على هذه الخلاصة بقوله: ((أنّ هذا تصوّر يعكس هشاشة فكرهم الذي يعكس بدوره هشاشة حياتهم وخواءها))¹⁰ حيث يربط ذلك بالمكان أي الصحراء.

إنّ تعاريف الدهر على اختلافها تتفق على صفة جوهرية له يفترق بها عن الزمان المنصرم، وهي عدم الانقطاع كما ذكر ذلك ابن منظور¹¹.

أما بالنسبة للأحاديث النبوية التي ورد فيها ذكر "الدهر"، فيسوق محمد الرحموني في البداية حديث "سبّ الدهر"، وهو حديث قدسي رواه أبو داود في سننه: ((يؤذني ابن آدم يسبّ الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار))، وفي حديث البخاري: ((لا يقولنّ أحكم يا خيبة الدهر فإنّ الله هو الدهر))، واستنادا إلى هاذين الحديثين فسّر الطبري¹² قوله تعالى: ﴿وما يهلكنا إلاّ الدهر﴾ بأنّه إنكار منهم أن يكون لهم ربّ يفيهم ويهلكهم، ذلك أنّ الذي يفني ويهلك مدى الدهر والزمان هو الله سبحانه، وهو عين ما ذهب إليه

كان مفسراً ومحدثاً وفقهياً وأديباً وشاعراً، وكان خطّاطاً بارعاً. له عدّة مؤلّفات إلى جانب تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني. توفي في بغداد عام 1854م.

⁸. هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (1009م/1078م)، ولد في جرجان وعاش فيها وتوفي فيها. نحويّ ومتكلّم، كان ولوعاً بالعلم، يلتهم كتب النحو والأدب.

هو صاحب نظرية النظم في البلاغة العربية، شرحها في كتابه "دلائل الاعجاز" و"معجم التعريفات" ضمّنه المصطلحات المستخدمة في العلوم والفلسفة والمنطق واللغة والفنون والفقه خلال عصره.

⁹. حميد الطريطر (2004)، قضية الزّمن من خلال القرآن الكريم، دار وحي القلم، بيروت، لبنان، ط1، ص158 و159.

¹⁰. محمد الرحموني (2009)، مرجع سابق، ص 82.

¹¹. ابن منظور، لسان العرب، نقلا عن: حميد الطريطر (2004)، مرجع سابق، ص159.

¹². أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (224هـ/310 هـ)، صاحب جامع البيان في تأويل القرآن.

الزمخشري¹³ والرازي¹⁴ في تفسيريهما. أمّا ابن عطية¹⁵ وأبو حيّان الأندلسي¹⁶ فقد ربطا بين الدهر والمذهب الدهري. فهذه الطائفة وجماعتهم جمعوا بين

¹³. أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري (467/538 هـ ، 1074م/1143م)، صاحب الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ولد في زَمَخْشَر في أوزبكستان، وتوفي ليلة عرفة في جرجانية خوارزم. يقول السمعاني في ترجمته: "برع في الآداب، وصنف التصانيف، ورَدَ العراق وخراسان، ما دخل بلدا إلا واجتمعوا عليه، وتتلّمذوا له، وكان علامة نسابه." كان الزمخشري معتزلياً في الأصول (العقيدة)، حنفياً في الفروع (الفقه)، وكان يجاهر بمذهبه (الاعتزال)، ويدونه في كتبه، ويصرح به في مجالسه. وكان إذا قصد صاحباً له استأذن عليه في الدخول ويقول لمن يأخذ له الإذن: قل له: أبو القاسم المعتزلي بالباب. وقد بذل الزمخشري مجهوداً كبيراً في تفسيره على مقتضى مذهب الاعتزال وأصوله الخمسة، وهي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والزمخشري إمام كبير في الحديث، والتفسير، والنحو، والبلاغة. وصاحب تأليف عظيمة في كل ذلك.

¹⁴. فخر الدّين محمد بن عمر الرّازي(544هـ/606هـ)، صاحب التفسير الكبير. الطبرستاني المولد، القرشي التيمي البكري النسب، الشافعي الأشعري، الملقب بسلطان المتكلمين وشيخ المعقول والمنقول. هو إمام مفسر، فقيه أصولي، عالم موسوعي، امتدت بحوثه ودراساته ومؤلفاته من العلوم الإنسانية اللغوية والعقلية إلى العلوم البحتة في: الفيزياء، الرياضيات، الطب، الفلك. رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان. وأقبل الناس على كتبه يدرسونها، وكان يحسن اللغة الفارسية. وكان قائماً على نصرة الأشاعرة، كما اشتهر بردوده على الفلاسفة والمعتزلة، وكان إذا ركب يمشي حوله ثلاث مائة تلميذ من الفقهاء، ولقب بشيخ الإسلام في هراة، له تصانيف كثيرة ومفيدة في كل فن من أهمها: التفسير الكبير كما سبق ذكره والذي سماه "مفاتيح الغيب"، وقد جمع فيه ما لا يوجد في غيره من التفاسير، وله "المحصول" في علم الأصول، و"المطالب العالية" و"تأسيس التقديس" في علم الكلام، و"نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" في البلاغة، و"الأربعين في أصول الدين"، وكتاب الهندسة. وقد اتصل الرازي بالسلطان محمد بن تكشي الملقب بخوارزم شاه ونال الحظوة لديه. توفي الرازي في مدينة هراة سنة 606هـ. (الويكيبيديا)

¹⁵. أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي(481هـ/542هـ، 1088م/1148م)، صاحب المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. من قبيلة قيس غيلان بن مضر، من أهل غرناطة حيث ولد، وذلك مع بداية عهد دولة المرابطين المعروفة بدولة الفقهاء. ينتمي لأسرة مهاجرة من المشرق، وكانت الأسرة ذات علم ومكانة هيأت له أسباب طلب العلم، فتتلّمذ على كبار علماء الأندلس، فهو لم يرحل كما رحل غيره من علماء الأندلس بسبب ظروف بلاده آنذاك. كان فقيهاً عالماً بالتفسير والأحكام والحديث. وكانت له اليد الطولى في اللغة والأدب والشعر كما يشهد له بذلك العلماء. وقد تتلمذ على يديه كثير من العلماء منهم ابن طفيل الفيلسوف المعروف. كل المصادر التي ترجمت لعبد الحق بن عطية ذكرت له كتابين: كتاب التفسير المذكور آنفاً وفهرس ابن عطية. وُلّي بن عطية خطة القضاء بمدينة "المرية" في شهر محرم عام 529هـ للملثمين (المرابطين). وقد كان من المجاهدين: فقد نهض إلى غزو "طليبة" سنة 503هـ. وكان كثير الغزوات في جيوش الملثمين. (الويكيبيديا)

¹⁶. علي بن محمد أبو حيّان التوحيدي(310هـ/414هـ، 922م/1023م)، صاحب تفسير البحر المحيط، فيلسوف متصوف، مسلم وأديب بارع، من أعلام القرن الرابع الهجري، عاش أكثر أيامه في بغداد وإليها ينسب. وقد امتاز أبو حيّان بسعة الثقافة وحدة الذكاء وجمال الأسلوب، فهو رجل موسوعي الثقافة، سمي أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء، كما امتازت مؤلفاته بتنوع المادة، وغزارة المحتوى؛ فضلاً عما تضمنته من نواذر وإشارات تكشف بجلاء عن الأوضاع الفكرية والاجتماعية والسياسية للحقبة التي عاشها، وهي - بعد ذلك- مشحونة بأراء المؤلف حول رجال عصره من

إنكار الإله وبين إنكار البعث والقيامة رافعين شعار((أرحامٌ تدفع، وأرضٌ تبلع، وسماؤٌ تقلع، وسحابٌ يقشع، وهواءٌ يقمع))، فهم لم ينظروا في الارحام تجدد الحياة، كما أنهم لم ينظروا في الأرض باعتبارها دار ضيافة، ولا في السماء جمال نجومها المتألئة، كما لم يبصروا في السحاب وظيفتها كمخازن للماء لأهل الأرض، ولم يدركوا النعم الربانية للهواء والتي لا تحد...

لقد اتفق المسلمون على كل من نسب الفعل والتأثير إلى الدهر وحده سمي دهرياً نسبة إلى "الدهرية"، وعدوا هذه الطائفة زنادقة ملحدتين، رفضهم المتكلمون وفلاسفة الاسلام على حد سواء. وأوجز الغزالي مذهبهم قائلاً: ((إن العالم قديم كذلك ولا علة له ولا صانع، وإنما العلة للحوادث. وليس يحدث في العالم جسم ولا ينعدم جسم وإنما تحدث الصور والأعراض)). وانبرى ابن رشد مصرحاً عن رفض الفلاسفة لمذهبهم في تعبير جلي خال من كل تعقيد: ((وليس يجوز أحد من الحكماء وجود أسباب لا نهاية لها كما تجوزه الدهرية، لأنه يلزم عنه وجود مسبب بغير سبب، ومتحرك من غير محرك))، في حين عدّهم الشهرستاني من بين معطلة العرب¹⁷. أما ابن القيم الجوزية فقد عدّ ثلاث مفاصد في سبب الدهر (الزمان) ختمها بقوله: ((فساب الدهر دائر بين أمرين لا بد له من أحدهما: إما سبه لله، أو الشريك به، فإنه إذا اعتقد أن الدهر فاعل مع الله، فهو مشرك، وإن اعتقد أن الله وحده هو الذي فعل ذلك، وهو يسب من فعله، فقد سب الله))¹⁸. ونظم "الشافعي" هذا المعنى في أبيات شعرية كثيراً ما يستدل بها الخطباء والأدباء حتى أضحت أشهر من نار على علم¹⁹.

نعيبُ زماننا والعيبُ فينا وما

لزماننا عيبٌ سوانا

وقد نهجو الزمانَ بغير جرمٍ ولو نطق الزمانُ بنا هجاناً²⁰.

سياسيين ومفكرين وكتاب. من مؤلفاته المطبوعة "الامتناع والموانسة"، و"البصائر والذخائر"، و"أخلاق الوزيرين"، و"المقابسات"، و"الهوامل والشوامل"، و"تقريظ الجاحظ"، و"الإشارات الإلهية"...

¹⁷ نقلاً عن الطريطر (2004)، مرجع سابق، ص. 162.

¹⁸ ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، (ج2، ص323)

¹⁹ العلم: اسم من أسماء الجبل. وكان العرب قديماً من كرمهم، يوقدون نارا ليلا على أقرب جبل لهم، ليعرف المسافر ليلا بوجود قوم في هذا المكان، فينزل عليهم، يضيفوه، ويبيت ويأنس بهم حتى إذا أصبح الصباح استكمل سفره. وهذه النار التي توقد على الجبل تكون ظاهرة لأي أحد ومن بُعد. فالمثل كناية عن الشهرة الكبيرة. فالنار حين تكون فوق الجبل يراها السائر من أي اتجاه.

²⁰ هذه الأبيات ينسبها بعض الأدباء للشافعي فقد نسبها له القفطي في كتابه (المحمدون من الشعراء)، وابن قتيبة في (عيون الأخبار)، وبعضهم ينسبها لمحمد بن محمد بن جعفر بن لنكك، فقد

من المفيد أن نشير في النهاية أنّ مسألة عبادة بعض الجاهليين للدهر أو الزمان مجرد تخمينات وإشارات نقلها محمد الرحموني عن "غي مونو" Guy Monnot فيما يعرف بـ "الديانة الزرفانية" التي يُحتمل تسربها إلى جزيرة العرب قبل الاسلام، والإله زرفان هو إله الزمان لدى قدماء الفرس، وقد أشار رضوان السيّد في تقديمه لكتاب محمد الرحموني إلى أنّه خلال تعلّمه للغة الألمانية عام 1973 وقع على كتاب الأستاذ "زاشنر" Zachner في "الذروانية" إحدى الديانات الإيرانية القديمة، فاندّش للتشابه الظاهر بين الزمان لدى الإيرانيين القدامى والدهر لدى العرب القدامى، ثمّ نسي المسألة واعتبرها صراعاً بين الشاعر والنبي لدى العبرانيين والعرب²¹.

إن هذه الالتفاتة تضعنا وجهاً لوجه أمام عظمة دعوة النبي وما تحمله دعوته عليه الصلاة والسلام من المعنى، وذلك في مقابل دعوة الشاعر وما يلوّكه من ألفاظ، وقد أجاد بديع الزمان النورسي في إحياء هذه الحقيقة حين عرضها على شكل تمثيل حين يعترض اليوم معترض قائلًا: ما الاعجاز في قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؟²² فقال هذا المعترض لا أرى في هذه الآية ما يُعدّ بلاغة فائقة!! فقيل له: إذهب إذن كهذا السائح إلى ذلك الزمان، واستمع إلى الآية هناك، فتخيّل الرجل نفسه هناك قبل نزول القرآن، وإذا به يرى موجودات العالم في حالة مزريّة يُخيم عليها الظلام في دنيا فانية لا تستقرّ على قرار، وهي فوق هذا جمادٍ بلا شعور، معطّلة بلا وظيفة، في فضاء خالٍ مترامي الأطراف بلا حدود.

وما أن سمع هذه الآية من لسان القرآن حتّى رآها تُميط حجاباً قاتماً عن وجه الدّنيا والكون فتتيره، حتّى شاهد هذا الخطاب الأزلي والمرسوم السّرمدى يُلقى الدّرس على ذوي الشّعور المنتظمين الصّافين بالتوالي على مرّ العصور، ويظهر هذا الكون كمسجدٍ كبيرٍ، فيه جميع المخلوقات- وفي مقدّماتها السماوات والأرض- قائمة على رأس عملها في حالةٍ من السّعادة والامتنان، تُؤدّي وظيفتها بهمةٍ ونشاطٍ في ذكرٍ وتسبيحٍ جيّاشٍ بالحياة.

فلما ذاق درجة بلاغة هذه الآية قاس عليها سائر الآيات، فوعى حكمةً واحدةً من بين آلاف الحكم التي أدامت عظمة سلطنة القرآن بكمال

نسبها له الصفدي في كتابه (الوافي بالوفيات)، وياقوت الحموي في (معجم الأدباء)، والسيوطي في "بغية الوعاة"، والزركلي في (الأعلام)، وقال في التعريف به: "شاعر، وصفه الثعالبي بفرد البصرة وصدر أدبائها، وقال: أكثر شعره ملح وطرف، جلّها في شكوى الزمان وأهله وهجاء شعراء عصره.

²¹ محمد الرحموني (2004)، مرجع سابق، ص 11.

²² القرآن الكريم، سورة الحديد، الآية الأولى.

الاحترام أربعة عشر قرنًا بلا انقطاع، وبسطة رصانة بلاغته على شطر المعمورة وخمس النوع البشري²³.

ثانياً: في مفردتي "الزمان" و"الوقت" في القرآن والسنة:

ومما يثير الانتباه أيضا في معالجتنا لموضوع الزمن ومحكية القرآن في ذلك، أن مفردة "الزمن" لم يرد ذكرها في القرآن، ولكن ذكر "الوقت" وما يرتبط به كـ "الحين" و"الساعة" و"الدَّهر" وغيرها... أمّا في الحديث النبوي - مع أنه وحيّ أيضاً- (وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحيّ يوحى) (سورة النجم، الآية 03)، فإنّ مفردة "الزمان" ورد ذكرها في كثير من الأحاديث النبوية خاصة تلك التي ورد ذكر "آخر الزمان" فيها، ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «يَخْرُجُ فِي "أَخِرِ الزَّمَانِ" رِجَالٌ يَخْتَلُونَ الدِّينَ بِالْأَدِينِ يَلْبَسُونَ لِلنَّاسِ جُلُودَ الضَّأْنِ مِنَ اللَّيْنِ، أَلَسِنَتُهُمْ أَخْلَى مِنَ السُّكَّرِ، وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الذَّنَابِ، يَقُولُ اللَّهُ: «أَبِي تَغْتَرُّونَ أَمْ عَلَيَّ تَجْتَرُّونَ، فَبِي حَلَفْتُ لَا أَبْعَثَنَّ عَلَى أَوْلِيكَ مِنْهُمْ فِتْنَةً تَدْعُ الْحَلِيمَ مِنْهُمْ حَيْرَانًا». (رواه الترمذي). وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَكُونُ فِي "أَخِرِ الزَّمَانِ" أَقْوَامٌ إِخْوَانُ الْعِلَانِيَةِ، أَعْدَاءُ السَّرِيرَةِ»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «ذَلِكَ بِرَغْبَةِ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ وَرَهْبَةِ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ». (رواه الإمام أحمد، والبخاري، والطبراني، وأبو نعيم في الحلية)، وَعَنْ أَبِي الزَّاهِرِيَّةِ- وَاسْمُهُ حُدَيْرُ بْنُ كُرَيْبٍ- يَرْفَعُ الْحَدِيثَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: أَتُبْتُ الْعِلْمَ فِي "أَخِرِ الزَّمَانِ"، حَتَّى يَعْلَمَهُ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ، وَالْعَبْدُ وَالْحُرُّ، وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ، فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ بِهِمْ، أَخَذْتُهُمْ بِحَقِّي عَلَيْهِمْ». (رواه الدارمي وأبو نعيم في الحلية). هذه الأحاديث وغيرها جاء ذكر "الزمان" فيها الأحاديث مرتبط بكلمة "آخر". كما جاء ذكر كلمة "الزمان" لوحدها كما في التالية:

23. بديع الزمان سعيد النورسي، السيرة الذاتية، ترجمة وتحرير: حسين عثمان و خليل جادو ومحمد أبو الخير السيد، تدقيق وفهرسة: محمد بسام حجازي. كتاب إلكتروني ضمن كليات رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي.

عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ "زَمَانٌ" يَسْتَخْفِي الْمُؤْمِنُ فِيهِ كَمَا يَسْتَخْفِي الْمُنَافِقُ فِيكُمْ». (رَوَاهُ ابْنُ السُّنِّي)، وَعَنْ الْحَسَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ "زَمَانٌ" لَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَكَلَ الرَّبَا، فَمَنْ لَمْ يَأْكُلْهُ أَصَابَهُ مِنْ غُبَارِهِ» (رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَةَ)، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ "زَمَانٌ" لَا يَسْلُمُ لِذِي دِينٍ دِينُهُ إِلَّا مَنْ هَرَبَ بِدِينِهِ مِنْ شَاهِقٍ إِلَى شَاهِقٍ، وَمَنْ جَحَرَ إِلَى جَحْرٍ فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ لَمْ تُنَلِّ الْمَعِيشَةُ إِلَّا بِسَخَطِ اللَّهِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ هَلَاكُ الرَّجُلِ عَلَى يَدَيِ أَبَوَيْهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَبَوَانِ كَانَ هَلَاكُهُ عَلَى يَدَيِ قَرَابَتِهِ أَوْ الْجِيرَانِ»، قَالُوا: كَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «يُعَيِّرُونَهُ بِضِيقِ الْمَعِيشَةِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يُورِدُ نَفْسَهُ الْمَوَارِدَ الَّتِي يُهْلِكُ فِيهَا نَفْسَهُ» (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ كَمَا فِي كِتَابِ الزُّهْدِ [ج3، ص444] مِنْ كِتَابِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ).

والملاحظ في الأحاديث المذكورة أنفا أنها تشترك في كونها تكشف عن سلوكيات تحصل في أزمان متفاوتة، وتكون هذه السلوكيات متناقضة مع الاصل وهو القرآن باعتبار القرآن الكريم مرجع ثابت يرجع إليه المسلم في كل حين وأن، ليُمحَص على ضوئه ما استجد في حياة الناس وما حصل من تغير، حيث يرجع إليه العلماء في كل زمانٍ ومكانٍ يقيسون معارفهم وآراءهم على ضوء آياته البيّنات.

إنّ أحاديث "الزمان" أي الأحاديث التي ورد ذكر "الزمان" فيها تبيّن حقيقةً مهمّةً وهي أنّ حكمته سبحانه اقتضت أن تكون الحياة في تغيرٍ مستمر ضمن حركة الكون المنتظمة والتي يستوحي منها الانسان هذا الانتظام، فإنّ شدّ عنه جاءت الأحاديث الصّحيحة لتذكّره بسنّة التّغير في الزّمان، ولذلك جاء ذكر الزّمان في الأحاديث النّبويّة ولم يرد ذكره في القرآن الكريم، ذلك أنّ الله سبحانه لا يتزَمّن كما يتزَمّن خلقه، كما أنّ كلامه لا يتزَمّن كما يتزَمّن كلام البشر الذي يخضع للتّغير والتّغيير، ولذلك كان الرسول الأكرم صل الله عليه وآله وسلّم وسيلة البشريّة لفهم هذا التّغير من جهة، ومن جهة أخرى فهو يمثّل حاجة البشريّة الدائمة إلى وحي القرآن تستمد منه معالم السّير نحو الأبدية، وهي عين ما يُحدّثنا به القرآن في مُحكم تنزيله. فالثّابت الوحيد هو الحياة الآخرة، وعلى مدار هذا المفهوم الذي يحتلّ مفهوم الزّمن القرآني جوهره صيغت التوجيهات القرآنية التي تحتاجها كلّ تربية تستهدف بناء الانسان في

كلّ أبعاده. ولذلك لما تناول أحد علماءنا المعاصرين²⁴ قضية التربية والتعليم اعتبرها مسألة مستقلة قائمة بذاتها مبرراً ذلك بأنّ الأمة الإسلامية أمة خاصة في طبيعتها ووضعها باعتبارها أمة ذات مبدأ وعقيدة، ورسالة ودعوة، لذلك يجب أن يكون تعليمها خاضعاً لهذا المبدأ والعقيدة، وهذه الرسالة والدعوة.

ولذلك كان من البديهي أن السبيل لتحقيق هذه الغاية التربوية هو تعليم جيل يؤمن بالمبدأ، ويدين بالعقيدة، ويحمل الرسالة ويؤدي الدعوة، وإلاّ كان هذا التعليم أجنبياً لا علاقة له بثقافة المجتمع وتجربته التاريخية، خاصة إذا كان

²⁴. هو أبو الحسن علي الحسني الندوي (1914-1999)، ولد بإحدى قرى شمال الهند (تكية كلان) وفيها وافته المنية في آخر يوم من سنة 1999م، في العشر الأواخر من رمضان. والده مؤرخ الهند الكبير العلامة الطبيب السيد عبدالحى الحسني الملقب "بأبن خلكان الهند" لمؤلفه "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر"، وهو من ثماني مجلدات احتوت أعلام المسلمين في الهند، أما والدته فهي من المؤلفات المعدودات، تحفظ القرآن وتقرض الشعر، تولت تربيته هي وأخوه الدكتور عبد العلي الحسني، حيث توفي أبوه سنة 1923م. درس اللغة الأردية والفارسية على عادة العائلات الشريفة في الهند، ينتهي نسبه الى عبدالله الاشر ابن محمد ذي النفس الزكية بن عبد الله المحض بن الحسن السبط بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم.

في أواخر عام 1924م بدأ دراسة العربية على الشيخ خليل بن محمد الأنصاري اليماني، ثم الاستاذ الدكتور تقي الدين الهلالي المراكشي عندما قدم هذا الأخير إلى ندوة العلماء عام 1930م. في عام 1927م التحق بجامعة لكهنؤ فرع الادب العربي وتخرج منها بشهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها وكان أصغر طلبتها.

في عام 1929م التحق بدار العلوم- ندوة العلماء حيث قرأ التفسير والحديث. في عام 1934م عُيّن أستاذاً في دار العلوم – ندوة العلماء لمادتي التفسير والأدب. وفيها استفاد من المصّحف والمجلات العربية الصادرة في البلاد العربية حيث تعرف من خلالها على أحوال البلاد العربية وعلمائها وأدبائها ومفكرها.

في عام 1939م طاف بالمراكز الدينية بالهند وخلالها تعرّف على الداعية الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي والشيخ عبدالقادر الرّأي فوري، وكان هذا التعرف نقطة تحوّل في حياته.

في عام 1943م أسّس مركزاً للتعليم الاسلامي يهتم بدروس القرآن الكريم والسنة النبوية.

في عام 1951م أسّس حركة رسالة الانسانية بين المسلمين والهندوس.

في عام 1956م عمل أستاذاً زائراً بجامعة دمشق

في عام 1959م أسّس المجمع الاسلامي العلمي بدار العلوم – ندوة العلماء في لكهنؤ.

في عام 1964م شارك في تأسيس المجلس الاستشاري الاسلامي لعموم الهند.

في عام 1972م شارك في تأسيس هيئة الأحوال الشخصية الاسلامية لعموم الهند.

عُيّن عضواً في عديد المؤسسات والمنظمات الاسلامية ومجامع اللغة العربية، كما نشر في العديد من المجلات العربية المعروفة، كما نشر بالأردية. من مؤلفاته المشهورة "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" و"الاركان الاربعة" و"النبوة والانبياء" و"السيرة النبوية"

يلمس القارئ لكتاباته بالعربية، بلاغته وقدرته البيانية، وخطاباته لا تعترها العجمة، وكان يرى في الأدب رسالة سامية، وتمنّى أن يسوده الاخلاص والصدق والقوة والحياة والعاطفة والوجدان والخلود، فهو أديب اللغتين العربية والأردية، رحمة الله.(انظر: محمد اجتباء الندوي (2001)، الداعية الجليل والمربي الحكيم، دار القلم، دمشق-سوريا)

هذا النوع من التّعليم يُخالف طبيعة المجتمع وعقيدته وروحه، إذ الأمية فيه خير من ثمراته المادية²⁵.

²⁵. أبو الحسن علي الحسني الندوي(1968م)، نحو التربية الاسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الاسلامية، مؤسسة الاسراء للنشر والتوزيع، قسنطينة - الجزائر - ، ط5: الجزائر، 1991م.